اللعنة

يبلغُ عليُ من العمرِ خمسة عشر عاماً، شاحب الوجه نحيف، وزنه بالكاد ٤٢ك.غ، ولَدٌ لأبٍ معاقٍ فقدَ قدمه اليسرى إثر عبوةٍ ناسفة، أقعدتهُ في المنزل منذ عامين، أما والدتهُ فهي تعملُ جاهدةً لإعالةِ عائلتها المكونة من تسعة أفراد، تخبز طوال النهار، تهتم بنظافة المكان وأولادها، تحث أطفالها على الذهاب إلى المدرسة؛ لعلَّ أحدهم ينجح؟ أما عليُ فقد تركَ المدرسة منذ عام، طوال ثلاثة سنوات لم ينجح في الصف الأول المتوسط، يساعد والدته، ترسلهُ لإيصال الخبز الحار لزبائنها، في بعض الأحيان تكرّمهُ إحداهن بألف دينار، يركض مسرعاً نحو دكان هاشم أبو الكَص لشراء سندويش شاورما دجاج، تعلو منه رائحة العفن، ولكنه يلتهمها بسرعةٍ قبل أن يعود إلى المنزل، لم يحدث أن العائلة قد شبعتْ يوماً. ربما في الأعياد والمناسبات الدينية. صديق لوالد علي يزورهم بين الحين والآخر، تعمُّ

الفرحة في الدار، فهو يغدق على الأولاد بألف دينارٍ لكلِّ واحدٍمنهم. استطاع إبراهيم صديق أبو علي أن يجدَ لعلي عملاً، حمال يدفع عربةً خشبية، ذو ثلاثةِ عجلات يحمل الأشخاص المسنين والمعاقين في مقبرة وادي السلام في النجف، لإيصالهم. لقبور ذويهم. العائلة التي كانت تلجأ للنوم، هرباً من قرقرة بطونهم الجائعة تناست أمرها تلك الليلة، الكلّ ملتفون حول علي يحلمون بأعينهم المفتوحة الهدايا التي سيحملها لهم الأخ الأكبر في عيد الفطر. في غضون أسبوع وصل علي إلى مدينة النجف الأشرف مع السيد إبراهيم، أسكنهُ السيد إبراهيم في غرفة مهترئة في إحدى الفنادق القديمة؛ مقابل قضاء بعض الأعمال لهم، اشترى لعلي العربة وأعطاه مبلغاً من المال تكفيه لمدة أسبوع. في الصباح الباكر يقف علي أمام المقبرة، يتراكض مع زملائه نحو الزائرين، بلغةٍ لا تخلوا من التوسل، ليستأجروه. مضى على علي أكثر من عام كان يعمل بجدٍ من الصباح الباكر وحتى غروب

الشمس لم يزُر أهلهُ سوى مرتين، تحسنت أوضاعهم كثيراً، آخر مرة رأته أمهُ عاتبته:

- علي ما زلت نحيفاً ألا تأكل؟

- فطائر الموتى والكعك تملأ معدتي طوال النهار، عندما أعود إلى الفندق أغرق في النوم أعتقد أني أدمنتُ طعام الأموات؟ أيام الأعياد والمناسبات الدينية هي أيام مفترجة لأصحاب العربات، يتجاهل الكثير منهم الزبائن ذوي الأوزان الثقيلة، فهم في أسعد أيامهم قبيل المغرب بساعةٍ ألحتْ سيدة مسنة وبدينة على علي إيصالها لقبر زوجها القريب من قبر هودٍ وصالحٍ، كان علي متعباً، ولكنه رضخ أخيراً للسيدة البدينة، أسرع علي بعربتهِ لإيصالها لقبر زوجها كان ينظر إليها من الخلف، يقول في سره: كم هي سمينة، يبدو أنها لا تأكل سوى اللحم والرز، بينما هو غارق في أمر السيدة البدينة. تعثر بحفرةٍ، أفلتتْ يداهُ العربة سَقطت السيدة البدينة، أمطرتهُ بوابلٍ من الشتائم، أيّها الكسيح لا وفقك الله، جشع، حاول علي

أن يهدئ من روعها، لكنّها لم تسكت بل حاولت ضربه بحقيبتها عندما حاول مساعدتها لكي تقف، تناسى علي أمر قدمه الملتوية، أوصل السيدة إلى باب المقبرة وهو يتألم، لم تدفع له مدعيةً أن رجلها ربما قد كسرت، استشار علي أحد زملائه في أمر قدمه، نصحه بأن يربطه بقطعة قماش ثم يبتلع قرصاً من مسكن ما وينتهي الأمر. عمل علي بنصيحة زميله وخلد إلى النوم، صدى صوت السيدة البدينة لم يفارق مسامعه. صباح اليوم التالي تورمت قدمه لم يقوَ على النهوض، نصحهُ عاملٌ بالفندق مراجعة المجبّر، لعلّه كُسِرَ، قصد علي الرجل الخطأ، أخطأ الرجل في إصلاح كسره، لم يقوَ على العمل من جديد. عاد إلى مدينته، يبكي أحلامه، بعد خمس سنواتٍ استطاع أن يحصل على راتبٍ زهيدٍ من دائرة الرعاية الاجتماعية، في فراشه الرث صوت السيدة البدينة توقظه ككابوسٍ فظيعٍ، يستيقظ فزعاً مخاطباً صوتها: لم تُصابي

بمكروهٍ، رجاءً كفي عن دعواتك السيئة لي، كي يوفقني الله وأجد عملاً من جديد.

****